الأبعاد الفكرية والفنية للشكل الدائري وعلاقته بالتكوينات البصرية المعاصرة

رنا شاهين[1]

أ.د. علي الخالد[2]

الملخص

يضيء هذا البحث أهمية الشكل الدائري وحضوره في بناء التكوينات الفنية المعاصرة. وهو أحد أهم الأشكال الهندسية، لما يتمتع به من قيم جمالية وتشكيلية ورمزية، وفلسفية. ويهدف البحث إلى ضبط مفهوم الدائرة، وخصائصها المميزة له. ثم يقف عند علاقته بعناصر التكوين، والأثر المتبادل بينهما لإتمام عملية البناء الفني. وأخيراً، يتطرق البحث إلى إبراز القيم الفكرية، والفنية.. للدائرة. وحضورها في بعض الفنون الحديثة، عموماً، وفي الاتجاهات والأعمال الفنية التشكيلية المعاصرة، خاصة، وفي الخاتمة، يقف البحث عند أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد – الفكرية – الفنية – الشكل الدائري – التكوين – الفن المعاصر.

[1] رنا شاهين: طالبة الدكتوراه في قسم الحفر والطباعة – كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق

[2] أ. د. علي الخالد: الأستاذ الدكتور في قسم الحفر والطباعة – كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق

The intellectual and artistic dimensions in the circular shape and its relationship with the modern painterly compositions

[1]Rana Shahin [2]Dr. Ali Alkhaled

Abstract

This research highlights the importance of the circular shape and its presence in the building of the modern painterly compositions, which is one of the most important geometric shape for what it possesses of aesthetic, plastic, symbolic and philosophic values. The research aims at maintaining the concept of the circle and its distinctive characteristics, the impact of the other geometric shapes on it and the reciprocal effect. Then, it stands at its relationship with the elements of composition and its link with the circle through the process of the artistic construction. Finally, the research addresses the highlighting of the intellectual and artistic values of the circles during its presence in some ancient arts generally and in the trends and the plastic arts works in particular. In the conclusion, the research stands at the main findings

Key words: The dimensions- The intellectual- The artistic - the circular shape - compositions- the modern painterly**.**

(1) (Rana Shaheen: PhD student in the Department of Printmaking - Faculty of Fine Arts - Damascus University.
(2) Dr. Ali Alkhaled: Prof. in the Department of Printmaking - Faculty of Fine Arts - Damascus University.

المقدمة:

لعب الشكل الدائري دوراً كبيراً في الحضارات القديمة، وفي فنونها، وفي كل الاتجاهات الفنية التشكيلية الحديثة والمعاصرة. وأُخضعت أبعاده الفكرية والفنية لتجارب جديدة وتصورات وطروحات جديدة. وقد تعمقت التجارب التشكيلية المعاصرة في رمزية الأشكال الهندسية، وخاصة الشكل الدائري، وتفاعلت به في منطلقاتها التعبيرية. ولكن التركيز على الدائرة كان له عمق مختلف التعبير ومن خلال بعض التجارب الفنية نحاول قراءة البُعد الرمزي لتجربة التشكيل المبني على الدائرة.

من هنا، فإن هذا البحث، محاولة للإحاطة بعدة مسائل تخص الشكل الدائري، انطلاقاً من أربعة محاور رئيسية: يتناول المحور الأول دراسة أهم المصطلحات التي تخص دراسة الشكل الدائري. ويأتي المحور الثاني لتبيان خصائص الدائرة، وأقسامه، ورمزيته. أما المحور الثالث، فيعالج علاقة الشكل الدائري بعناصر التكوين. وأما المحور الرابع، والأخير، فيبحث عن حضور الشكل الدائري في التكوينات البصرية المعاصرة.

المحور الأول، تحديد مصطلحات البحث:

الأبعاد: جمعٌ، ومصدرها البُعد، وهو في اللغة، "خلاف القرب، وعند القدماء امتداد بين شيئين، وقد جعل المتكلمون البعد امتداداً موهوماً مفروضاً في الجسم، أو في نفسه، صالحاً لأن يشغله الجسم. والأبعاد الثلاثة هي الطول، والعرض، والعمق.. والبعد في الهندسة، هو المقدار الحقيقي الذي يحدد بنفسه أو بغيره مقدار أو شكل قابل للقياس، كالخط أو السطح أو الحجم. مثال ذلك: أبعاد الجسم. والبعد أيضاً، هو المقدار الحقيقي الذي يعين لنفسه أو بغيره وضع النقطة في المكان، خطاً كان أو سطحاً أو حيزاً"[1].

الفكرية: من الفكر، وهو " إعمال العقل بالمعلوم للوصول إلى المجهول"[2]. والفكرية، وهي مدرسة تعكس أفكار وأعمال وأساليب مجموعة من الفلاسفة أو الفنانين، تنصب كلها في تبني أفكار محددة في موضوع محدد. وهناك العديد من المفاهيم المرتبطة بمفهوم **الفكر**، منها: الإدراك، والوعي، والإحساس، الخيال. وإجرائياً، فإن الفكرية، كيفية إدراك الجوانب الفنية المجهولة من الشكل الدائري، واستخدام الخيال للتعبير عن أقصى امكانات الخيال.

الفنية: الفن بالمعنى العام، هي: "جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة جمالاً كانت، أو خيراً، أو منفعة، فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمي الفن بالفن الجميل. وإذا كانت تحقيق المنفعة سمي الفن بالصناعة. ومعنى ذلك أن الفن مقابل للعلم، لأن العلم نظري، والفن عملي.. والفرق بين الفن والعلم أن غاية الفن تحصيل الجمال، على حين أن غاية العلم تحصيل الحقيقة، وإذا كانت أحكام الفن إنشائية، فإن أحكام العلم خبرية أو وجودية. أما الفن بالمعنى الخاص، فيطلق على جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال، كالتصوير. والفن التشكيلي لا يقتصر على محاكاة الطبيعة، بل يبدلها بما يضيفه إليها من اختراعات الخيال. وإذا استعمل لفظ الفن بصيغة المفرد دل على الحقائق المشتركة بين الأشياء الجميلة، وإذا استعمل بصيغة الجمع دل على الوسائل المستعملة للتعبير عن

[1] – بتصرف، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 213.

[2] – معجم المعاني، المصدر، https://www.almaany.com

الجمال بواسطة الخطوط، والألوان.."[1]، والفنية هي التي تُنسب إلى الفن.

الشكل الدائري: أولاً، الشكل، هو اصطلاحاً: "تنظيم عناصر الوسيط المادي التي يتضمنهما العمل الفني، وتحقيق الارتباط المتبادل بينهما، فهو يدل على الطريقة التي تتخذ منها العناصر موضعها في العمل كل بالنسبة للآخر، وبالطريقة التي تؤثر بها كل منها بالآخر. وهو: التركيبة المادية أو البناء الشكلي الذي يحدد داخل إطاره. وهو التركيب الذي يؤلف الأجزاء للكل من تعددية العناصر، ولهذا فإنه يمنح تلك العناصر قالبها المميز"[2]. **وثانياً**، الدائرة، وهو شكل من الأشكال الهندسية، "كما أنها من أول الأشكال التي عرفها الإنسان، وتتكون من مجموعة من النقاط التي تبتعد مسافة متساوية تسمى نصف القطر في جميع الاتجاهات عن نقطة محددة تسمى المركز"[3]. والدائرة، عبارة عن "سلسلة من المنحنيات المتصلة. وهي رمز للأبدية ولا نهائية الخطوط، وهي لا تشير إلى اتجاه معين لكنها قائمة بذاتها، فهي دائماً في حال تعادل، يرى الكثيرون أن في الدائرة سحر العين، فهي شكل بسيط قادر على جذب النظر نحوه، وإن العين حين تدرك الدائرة إنما تقوم بمجموعة من التوترات العضلية الموضوعية، فلا تلبث أن تجد نفسها مضطرة إلى الارتداد نحو المركز، وكأنما هو من الدائرة بمثابة الثقل، مما يولد لدى المرء ضرباً من الإحساس بالاستواء أو التكافؤ المطلق وهو الإحساس الذي يشعرنا من جهته باللقاء الجمالي للدائرة كشكل هندسي، ومن جهة أخرى بفقر الدائرة ورتابتها كصورة جمالية"[4].

العلاقة: أي الأثر المتبادل بين الشكل الدائري بأبعاده وخصائصه ورمزيته، وبين تكوين العمل الفني والعناصر المُشكِّلة له. والتغيرات الحاصلة في الشكل الدائري، نتيجة النظريات العلمية، والأساليب الفنية، والتقنيات الجديدة، خاصة في التكوينات البصرية للأعمال الفنية المعاصرة.

التكوين: هو "التخليق، والاختراع، والصنع، والتصوير، والنسبة إلى التكوين تكويني. وهي أن تدرس موضوعات من جهة تكوينها، أي معرفة الشيء بالفعل المولد له، كتعريف الخط المستقيم بأنه الخط المتولد من حركة النقطة في سمت واحد"[5].

الفن المعاصر: هو اتجاه فني تم بناؤه من ما بعد الحداثة، حيث يقدم تعبيرات فنية مبتكرة وتقنيات تشجع التفكير الذاتي في العمل، ببعض جوانب الفن الحديث، مما يساعد على تشكيل نظرة جديدة في الفن، وهو المعروف أيضاً باسم ما بعد الفن الحديث.

المحور الثاني، الشكل الدائري (خصائصه – أقسامه – رمزيته):

أولاً، خصائص الشكل الدائري[6]:

عند النظر إلى الدائرة كشكلٍ هندسيّ فإن هناك العديد من العلاقات والنظريات المثبتة بينها وبين الخطوط المستقيمة والمضلعات والزوايا، حيث أنّه يمكن الاستفادة من هذه الخصائص والحقائق في بعض الاستخدامات العمليّة للشكل الدائريّ والرياضيّات بشكل عام، بالإضافة

[1] – بتصرف، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 165.

[2] – رياض هلال، وحامد خضير، الأبعاد الجمالية للشكل الهندسي في الفن البصري، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج4، ع1، 2024، ص 106.

[3] – الدائرة، المصدر، https://www.edarabia.com

[4] – بتصرف، زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ، ص 68–69.

[5] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، مرجع سابق، ص 334.

[6] – خصائص الدائرة، المصدر، https://sotor.com

إلى إمكانية إيجاد بعض القيم الرياضيّة التي ترتبط بهذا الشكل الهندسيّ، وعليه فإن أهم خصائص الدائرة ما يأتي:

- جميع أنصاف أقطار الدائرة متساوية.
- أطول وتر في الدائرة هو القطر، وكل قطر وتر، وليس كل وتر قطراً. وتعتبر الدوائر جميعها متشابهة حتى الدوائر التي تختلف بأنصاف أقطارها.
- الزاوية المركزيّة، هي التي يقع رأسها في مركز الدائرة وضلعاها يحتويان أنصاف أقطار، في الدائرة تساوي ضعف الزاوية المحيطيّة، وهي التي يقع رأسها على محيط الدائرة وضلعاها وتران في الدائرة، بشرط أن تكون مشتركة معها بنفس القوس.
- الزاوية المحيطيّة المرسومة على قطر الدائرة قائمة. الزاويتان المحيطيتان المرسومتان على قوس واحد في الدائرة متساويتان في القياس.
- مماس الدائرة يكون عمودياً على نصف القطر المرسوم من نقطة التماس.
- العمود النازل من مركز الدائرة على أي وتر فيها ينصفه.
- هناك علاقة طرديّة بين قطر الدائرة ومحيطها بحيث كلما زاد قطر الدائرة زاد محيطها، ولذلك فإن النسبة ثابتة بين قطر الدائرة ومحيطها.

ومن الناحية الفنية، فإن خاصية الشكل الدائري تكمن في "السلوك الحركي وفقاً لمبدأ البساطة. فهو بصرياً، أكثر بساطة واتزاناً وتحقيقاً للتوازن، والاستدارة بتناسقها القياسي الذي يتميز كأكثر الأشكال البصرية بساطة. وإن اكتمال الشكل الدائري يجذب الانتباه، واستدارة عين الإنسان وعين الحيوان عموماً، هي من أكثر الظواهر إثارة في الطبيعية"[1].

ثانياً، أقسام الشكل الدائري:

تتكون الدائرة من أجزاء عدة، هي: "القوس: أي جزء من محيط الدائرة. والقطاع الدائري: ويشكّل المنطقة المحصورة بين نصفي قطرين مختلفين في الدائرة. والوتر: وهو أي خط مستقيم يبدأ من نقطة على محيط الدائرة وينتهي عند نقطة أخرى على المحيط. والقطعة: وهي المنطقة المحصورة بين وتر الدائرة ومحيطها[2]".

ثالثاً، رمزية الشكل الدائري:

في كل ثقافات العالم البصرية والتشكيلية، حملت الدائرة منطقاً مفهومياً مختلفاً، ومتداخلاً، في الهندسيات التركيبية للعمل التشكيلي الفني.

كانت الكرة رمز "للصفاء، للطمأنينة المسورة في إثبات الوجود. وقد رأى القدماء الكون ككرة مجوفة حيث كان أسفلها يسمى من قبل الرومان، أمكنة الدنيا، ومن هنا كان اسم الجحيم. ومن قبل الإغريق، غير مرئية، ومن هنا اسم إله الجحيم هادس.. وبعضهم كان يسمي ديوسكيرس نصفي الكرة المتوضعين أحدهما من فوق والآخر من تحت الأرض، فهما يموتان ويعاودان الولادة كل يوم، السماء دورة فدورة مظلمة ومنيرة واتحادهما رمز انسجام وتناسق الكون"[3].

ويمكن اعتبار الدائرة "كالإسقاط من السماء على الأرض رمزاً للسماء في كثير من الثقافات. إن الزمان، مع فصوله يجري بثورات، وهذه الطبيعة الدورية تجعله قريباً لمحيط الدائرة وتقابله بالفضاء الذي هو مربع في الفكر الصيني. محيط الدائرة يصبح صورة الأبدية ذاتها في ذهنية بعض الشعوب، ويمكن القول إنه من هنا تتفرع هالة

[1] – بتصرف، شاكر عبد الحميد، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، ص 239–240.

[2] – الدائرة، مرجع سابق.

[3] – بتصرف، فيليب سيرنج الرموز في الفن – الأديان – الحياة، تر، عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، دمشق، 1992، ص 478.

القداسة في الفن الأيقوني المسيحي، في حين أنها فسرت عادة كأنها المجد"[1].

المحور الثالث، علاقة الشكل الدائري بالتكوينات المعاصرة:

يدخل الشكل الدائري في العملية البنائية للعمل الفني، إما كونه يمثل التكوين الرئيسي وإطار عام للعمل، أو أنه يمثل جزءاً من أجزاء التكوين. وفي الحالتين، فإنه لا يظهر إلا من خلال عناصر التصميم وظهور الأسس التشكيلية، والتي من خلالها يتحدد الشكل الدائري، بخصائصه، وصفاته الفنية، ومقاصده داخل العمل الفني ككل. إن عناصر التكوين بأسسها، هي أساس ظهور الأشكال، ومنها الشكل الدائري، وبالتالي، هي الأساس الذي يقوم عليه التكوين العام للعمل الفني.

وعناصر التكوين، هي:

1- النقطة:

هي أبسط عناصر التكوين التي نراها دائماً في النظام الكوني من حولنا بأشكال وتكوينات عديدة.. وهي بالرغم من بساطتها إلا أنها من العناصر الهامة التي يقوم عليها التصميم فهي تحمل حلولاً وتنويعات عديدة قامت عليها أسس بعض المراحل الفنية.. كالمدرسة التنقيطية حديثاً"[2]. ويمكن رسم شكلاً دائرياً اعتماداً على صفات النقطة، أي من خلال "حجم النقطة في التصميم، ومساحة الفراغ بالنسبة لحجم النقطة، ودرجة النقطة من حيث الضوء والظل، ولون النقطة"[3]، مثال كما الشكل (1)، في "نماذج (تشيسكي كريسلير Cesky Kreslir) التي نشرها للتدريب لمدة ثلاث سنوات (1885-1888م)، الفنان (الويس ستودنيكا Alois Studnicka، 1842-1927م) وهو مدرسًا بارزًا للرسم وخبير معروف في الفن الشعبي ومتخصص في الزخرفة ومدافع عن المفهوم التجريدي للزخرفة"[4]، حيث تظهر الأشكال الدائرية باستعمال عنصر النقطة.

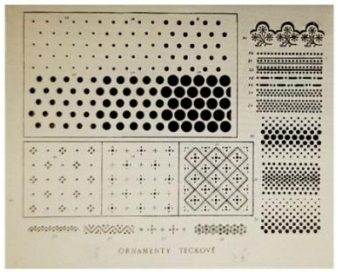

الشكل (1) ستودينكا، دراسات الزينة المشتقة من النقاط تشيسكي كريسلير 1885-1888م

2- الخط:

"وهو مسار نقطة.. أو امتداد مجموعة من النقاط الملتحمة والمتجاورة في اتجاه محدد"[5]، ومن أنواعه: المقوس، والانسيابي، والمنكسر، والمتعرج، والحلزوني، واللولبي، والهندسي.. الخ. وهذه الأنواع ترسم ملامح الشكل الدائري. كما يقوم الخط بوظائف عديدة، منها: تعرف الأشكال وتحديدها، والإيهام بالأبعاد، وإحداث التأثيرات بالأشكال، وإغلاق الفراغ، وتحقيق التباين، و"صفة لون الخط، وسمك الخط وعمقه في السطح أو بروزه، وطبيعة سطح الخامة المنفذ عليها، وبها، والأدوات المستخدمة في تحقيق الخط، الفرشاة أو القلم أو الريشة"[6]. ومن هنا، فإن عنصر الخط أساسي لإظهار شكل الدائرة، والتعبير عن مضمونها. مثال الشكل (2)، وهو أيضاً من نماذج الرسوم التوضيحية (تمارين الدوائر واللوالب) للفنان (تشيسكي كريسلير Cesky Kreslir)، حيث تظهر

[1] – بتصرف، المرجع ذاته، ص 478.

[2] – بتصرف، مروة عزت عبد الحميد، جماليات فن التكوين في التصوير، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008، ص 80.

[3] – المرجع ذاته ، ص 81.

[4] - František Kupka, The Solomon R. Guggenheim Foundation, New York, 1975, p17.

[5] – مروة عزت عبد الحميد، المرجع السابق، ص 82.

[6] – بتصرف، المرجع ذاته، ص 82.

الأشكال الدائرية بفضل الخطوط المنحنية، والحلزونية. وتظهر هذه الأشكال كجزء مكمل للتكوين العام.

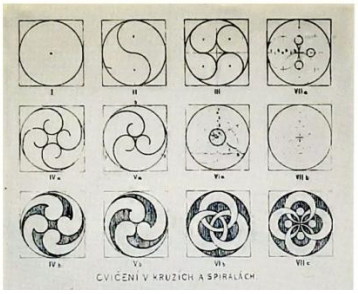

الشكل (2) ستودينكا، تمارين الدوائر واللولب من تشيسكي كريسلير 1885-1888م

وتعتبر الدائرة سلسلة متصلة من الخطوط المنحنية، "واستخدمها القدماء في التعبير عن الشمس مصدر الضوء والحياة، ورمزوا بها للأبدية اللانهائية"[1]. مثال كما في جزء من منحوتة جدارية، (الفراعنة Pharaohs)، الشكل (3).

الشكل(3) الفراعنة، منحوتات جدارية، ق.م

3- الكتلة:

هو "الفعل الذي أحدث به ذلك الشيء حتى وصل حالته الحاضرة، فهو مجموع الصور التي تعاقبت على الشيء من جهة علاقتها بالشروط المؤثرة في نموه"[2]. وهو في تعريفه الإجرائي، "وضع صورة قابلة للفهم أو عمل عقلي قابل للفهم مع تناسق عناصره، بصورة ذات دلالة وإيحاء يخضع هذا لقواعد متفق عليها"[3]. إذن، فالتكوين التوزيع أو التنظيم للعناصر الفنية المكونة للعمل وفقا لمبادئ التصميم. وأما أسس التكوين فيقصد بها الأساليب التي يمكن ترتيب العناصر بها من أجل إيجاد تكوين ذو قيمة جمالية مرغوبة.

ويتمثل التكوين في الأشكال الدائرية التي تنشأ في الفراغ، كما في لوحة الفنانة سونيا ديلوني Sonia Delaunay (1885 – 1979م)، (تركيب Composition)، طباعة حجرية، 1972م، الشكل (4).

الشكل (4) سونيا ديلوني، تركيب، طباعة حجرية 1972م

وتظهر هذه الأشكال باختلاف حجومها، وملامسها، وصفاتها. فالأشكال الدائرية داخل العمل الفني تمثل كتلة، أو أجزاءً من التكوين. "وبالرغم من أن كل هذه العناصر تماثل كتلاً بمفردها.. إلا أنها حينما تتقارب وتلتحم داخل التصميم فإنها بشكلها الكلي يطلق عليها في حالتها الجمعية كتلة.

4- الفراغ:

هو عنصر جوهري في بناء العمل الفني، وعلاقته وثيقة بالعناصر المرتبطة بالشكل الفني العام، "والتعامل مع عنصر الفراغ له أيضاً جذور في الرؤية إلى الوجود، والنظر إلى الطبيعة بما يتفق مع العقائد. والفراغ صفة من صفات التصميم وقد يعتبر العنصر الوحيد الذي له أهمية كبرى. حيث أنه الوسيلة الرئيسية في الفنون لعملية الخلق والمحاكاة أو تحديد الفراغ. وكل الفنون لها صلة بالفراغ

[1] – المرجع ذاته، ص 101.

[2] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، مرجع سابق، ص 333.

[3] – مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 82.

كخاصة قائمة بذاتها"[1]. مثال لوحة الفنان فاسيلي كاندنسكي Vassily Kandinsky (1866-1944م)، (التكوين الثامن Composition 8)، زيتي، 1923م، الشكل (5).

الشكل (5) كاندنسي، التكوين الثامن
زيتي، 1923م

حيث بدأ كاندنسكي خلال أوائل العشرينيات من القرن الماضي، بالابتعاد عن التمثيل والاتجاه نحو التجريد الخالص، فقام بدمج أشكاله الهندسية الصارمة في الفراغ، بخطوطها الرفيعة والرقيقة أو بمساحاتها اللونية، "وكانت الدائرة شكله المحبب الذي استخدمه بكثرة، فظلّت الدائرة حاضرة في أعمال كاندنسكي طوال العقد التالي، حتى باتت أشبه بتوقيعه الشخصي على اللوحة، سواء أكانت مرسومة بدقة هندسية أم يدوياً بشكل عفوي"[2].

كما أن الفراغ هو "العنصر السلبي متمثلاً في الجو المحيط بالشكل.. أو هو الهواء الذي يعطي تنفساً مريحاً في التصميم، كي لا تكون الأشكال مكدسة في العمل الفني.. ولا بد أن ينظر إلى الفراغ بشكل مستقل كجزء قائم بذاته، ولا بد من ربطه بالأشكال موضوع التصميم وإحداث نوع من التآلف بينهما، وأيضاً التناسب بين نسبة وجود كل منهما في العمل الفني"[3].

5- اللون:

من العناصر الأساسية لإعطاء الشكل الدائري قيمته الفكرية والفنية والجمالية. وهو الذي يخلق التآلف والتباين بين العناصر الفنية والجو العام للعمل الفني.

واللون، في تعريفه: "ما فصل بين الشيء وبين غيره، وصفة الجسد وهيئتهُ؛ من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك، يقال: لونهُ بياض وحمرة، أي: صفته وهيئته؛ واللون الأولي: أحد أقسام الطيف الأصلية "[4]. وهو "الصفة التي تميز أي لون، وتعرف على مسماه ومظهره بالنسبة لغيره، واللون هو إحساس له شروط بعضها يعود إلى عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل للعين وطول موجته وزاويته ولونه"[5]. وهو: "النور في أصباغه المختلفة، هذه الأصباغ التي تصل أسماؤها إلى الألوف، وذلك وفق كنهها، وقيمتها، وتشبعها، ونقاوتها، وبريقها، وكثافتها"[6].

أما خصائص اللون، فهي: أولاً، الهوية، أي "ما نسميه طابع اللون، فالكثافة الطيفية اللونية الحمراء هي ما نسميها اللون الأحمر، بوصفه متميزاً عن الأخضر أو عن البرتقالي – اللون المجاور له في ألوان الطيف – وهكذا فإن طول الموجه الخاصة باللون داخل ألوان الطيف هي

[1]–بتصرف، برنارد مايرز، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها، تر، سعد المنصوري، مر، سعيد محمد خطاب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بلا تاريخ، ص 248.

[2] - فريق القافلة، الدائرة، في الفن التشكيلي.. الدائرة والكرة في قلب التجريد، مجلة القافلة، 2018م.

[3]– بتصرف، مروة عزت عبد الحميد، جماليات فن التكوين في التصوير، مرجع سابق، ص 85.

[4] – مجموعة من المؤلفين، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، ص 1824.

[5] – أحمد مختار عمر، اللغة واللون، دار البحوث العلمية، الكويت، 1982، ص 91 – 92.

[6] – بتصرف، كلود عبيد، الألوان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013، ص 17.

ما تعطيه اسمه الخاص هنا"[1]. وهي الخاصية التي من خلالها يتم التمييز والتفريق بين الألوان. الخ. ثانياً، القيمة، وهي العلاقة الناتجة بين لون مضيء ولون معتم. وهو أيضاً قيمة التشبع اللوني. وثالثاً، الإشباع، وتتميز هذه الخاصية إلى مدى نقاء الهوية أو اللون، والهوية النقية أو الخالصة هي أكثر الأشكال كثافة لأحد الألوان. إنها الهوية في أكثر حالات تشبعها: إنها أكثر أشكاله أو حالاته سطوعاً. فإذا أضيف اللون الأبيض أو الأسود إلى هوية لونية نقية أو كثيفة معينة تتناقص كثافته، ويصبح لوناً أقل نصوعاً، باهتاً، وذلك لأنه يصبح الآن قادراً على امتصاص ضوء أكثر أو أضواء أكثر تتعلق بخصائص أو أطوال متعددة. إن هذه الخصائص تجعل الأشكال الدائرية حيّة، ونابضة. ويمكن من خلالها التفريق بين عدد من الدوائر، وإعطاءه هوية وقيمة للشكل الدائري، كما في الشكلين (4–5)، تم عرضهما سابقاً، حيث نلاحظ أن الدوائر في لوحة الفنانة سونيا ديلوني قوية كثيفة في كتلتها اللونية، وهنالك تناوب بالقيمة اللونية بين لون مضيء ولون معتم، بينما كانت الدوائر في لوحة الفنان كاندنسكي تتناوب بين القوية والشفافة التي تتناقص كثافتها اللونية، وهنالك أيضاً تناوب بالقيمة اللونية بين لون مضيء ولون معتم، أو بين لون حار ولون بارد.

6- الضوء والظل:

"هما طريقة لإبراز الشكل لتوضيحه، وأيضاً طريقة لإخفاء الشكل في الأرضية. والضوء والظل يحددان الحالة الشعورية والجو العام في التكوين"[2]. وهو "شكل من أشكال الطاقة المشعة، ويتكشف العالم البصري ويتجلى من خلال الضوء، ويشتمل ضوء الشمس.. والضوء يكشف السطوح ثلاثية الأبعاد. ومن تغير الضوء تبدو الأشياء – التي تضاء من خلاله – وكأنها تتغير"[3]. مثال لوحة للفنان فيكتور فازاريلي Victor Vasarely (1906 – 1997م)، بعنوان (رقم أربعة من البوم لويزيانا Album Lousina IV)، شاشة حريرية ملونة، الشكل رقم (6).

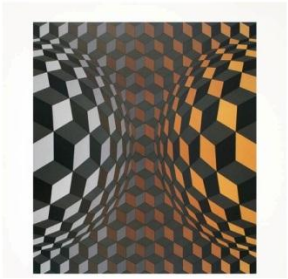

الشكل (6) فيكتور فازاريلي، لوحة رقم 4 من البوم لويزيانا، شاشة حرارية ملونة 1984م

"تعمد الفنان ايضاح القيمة الضوئية في الأمام بقيمتين لونيتين متقابلتين الأبيض على اليسار والأصفر على اليمين المغايرة للقيمة الضوئية في الخلفية التي تتدرج للغامق، بإيهام بصري نتيجة صغر حجمها مما يخفف من قيمتها الضوئية ويعطي إحساسا بأن الخطوط من على اليمين واليسار تتحرك نحو الداخل وكأنك تسير في نفق، وإن جمالية تصميم هذا العمل تظهر من خلال الانتقال من حركة إلى أخرى بطريقة تتابع التباين اللوني لأجزاء الشكل بين الأبيض والأسود من جهة والاصفر والأسود من جهة ثانية والذي تكرر بانتظام ليحقق ايقاعات منتظمة تسمح لبصر المتلقي الانتقال بشكل متسلسل من موقع إلى أخر محققاً الإيهام بالحركة وإثارة عين المشاهد"[4].

[1] – شاكر عبد الحميد، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك، المرجع السابق، ص 130.

[2] – مروة عزت عبد الحميد، جماليات فن التكوين في التصوير، مرجع سابق، ص 86.

[3] – بتصرف، شاكر عبد الحميد، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك، مرجع سابق، ص 124–125.

[4] - عبد الله عمران، د فاطمة، الإيهام البصري وتمثيلاته في رسوم فازاريلي، وازرة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بابل، 2016م، ص14.

ولقد كان فازاريلي "مدركاً لحدود التأثيرات البصرية التي يمكن الحصول عليها بواسطة اللونين الأبيض والأسود، فجاءت عناصره معبرة ومترجمة لتلك التكرارية الدائبة الحركة والتذبذب والتي تنتقل من عنصر إلى آخر، من فكرة إلى فكرة لتجذب انتباه المشاهد طبقاً لمساحتها وتفردها وتباينها"[1].

مثال لوحة للفنان فازاريلي، بعنوان (كانترا Kantra)، شاشة حريرية، الشكل رقم (7).

الشكل (7) فيكتور فازاريلي، شاشة حرارية 1981م

7- الملمس:

وهو "الإيحاء البصري بخامات الأشياء المرسومة ويتحقق عادة بأشكال الإضاءات الملقاة على هذه الأشياء.

وانتشرت

عملية الملمس في التصوير المعاصر.. بعد أن لفت الأنظار إلى أهميتها لما تحتويه من قيم جمالية. فالقيم اللمسية – كما يقول الناقد برنار برنسون Bernard Berenson (1865-1959): تحفز الخيال إلى أن يحس بكتلة الأعمال الفنية وبثقل السطوح، ويدرك قدرتها على مقاومة نقل اليد التي تمارس العمل الفني. وتشجعنا بالخيال دائماً، على أن نلمسها عن كثب، أو نمسك بها، أو نعانقها، أو ندخل إليها داخل عالم الصورة مستمتعين"[2].

وتكون الملامس من حيث الدرجة: ناعمة، وخشنة، ومنتظمة أو غير منتظمة.

مثال لوحة الفنان فان غوخ Vincent van Gogh (1853-1890)، (ليلة النجوم The Starry Night)، زيتي، 1889م، الشكل رقم (8).

الشكل (8) فان كوخ، النجوم، زيتي 1889م

حيث تنحني ضربات اللون وتدور في محاولة للتأكيد على التفاصيل التي شغلت العين بأشكالها الديناميكية الحركة عن طريق التحكم في الأدوات وطريقة السيطرة عليها وكذلك مدى كثافة الألوان،

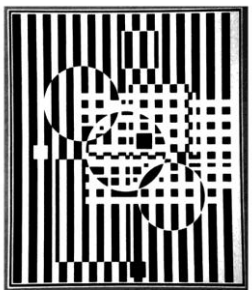

الشكل (9) فيكتور فازاريلي تكوين الابيض والاسود شاشة حرارية

الأمر الذي ساعد على تحقيق الإحساس بالثراء والغنى في الملمس.

أما من حيث النوعية، فتكون حقيقية، أو إيهامية.

مثال لوحة للفنان فازاريلي، بعنوان (تكوين أبيض وأسود Black And White Composition)، شاشة حريرية، الشكل رقم (9).

"فلقد نمت اللوحات الهندسية بالأبيض والأسود التي رسمها فازاريلي في الخمسينيات من القرن الماضي، من

[1] - بتصرف، الرباعي، د. إحسان عرسان، الرشدان، د. وائل منير، إشكالية التواصل مع التراث في الأعمال الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، 2003م. ص156.

[2] – مروة عزت عبد الحميد، المرجع السابق، ص 89 – 90.

عام 1954م فصاعدًا، بشكل أساسي من تجاربه مع شكل من أشكال الفن الحركي (kinetic art) المعروف باسم (الصور الحركية في العمق Kinetic Pictures in Depth)، استنادًا إلى تركيب شاشتين بأنماط متفاعلة لإنتاج صورة متذبذبة من خلال حركة المشاهد، مما يتسبب في انتقال الإدراك ذهابًا وإيابًا"[1].

المحور الرابع، الشكل الدائري في الفن المعاصر:

اختلف تناول رمزية الشكل الدائري كعنصر فكري، وفني، في الفنون الحديثة. ولكن، لما الشكل الدائري غني هندسي، وزاخر بالمفاهيم الكونية، والرؤى الوجودية فإن الفن، وانطلاقاً من مرونته التشكيلية والبصرية والخيالية، جعل من الدائرة عنصراً قابلاً للألوان والتشكيل والزخرفة، وإظهار علاقاته الجمالية بالتكوينات البصرية.

ولقد "عرف التاريخ التشكيلي عدة تجارب مؤثرة ومثيرة ولعل أبرزها لوحة "الرجل الفيتروفي" الشهيرة لدافنشي Leonardo da Vinci، الشكل رقم (10)،

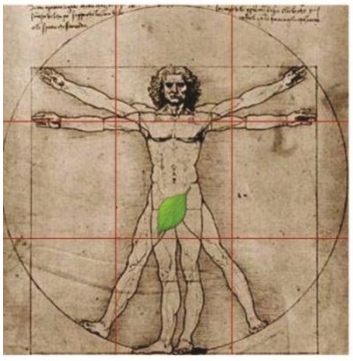

دافنشي– الرجل فيتروفيان (The Vitruvian Man)

الشكل (10) دافنشي الرجل فيتروفيان

والتي ترتسم أسسها على الدائرة، وهي من أكثر اللوحات الغامضة هندسياً وتفسيرياً، إذ أن اعتمادها البصري والفلسفي القائم على فكرة الدائرة يحيل إلى الكون والانسان والتراكيب الداخلية رمزيتها الوجودية والفكرية والكونية. فمركز الانسان ومركز الكون مبني على تلك الدائرة.

أو كما في لوحة فان غوخ، (ليلة النجوم)، الشكل السابق رقم (8)، التي ركّز فيها على حركة الطبيعة وسرها المتكامل واستمرارية الحياة بين الليل والنهار فحركة الدائرة تشير إلى عمق داخلي وثورة نفسية حسية عميقة"[2].

وفي القرن التاسع عشر، "ظهرت فكرة الفوارق المكانية والهندسة الغريبة. انطلاقاً من النظرية النسبية لألبرت أينشتاين Albert Einstein، في تطوير نظرية النسبية، وخرجت نماذج جديدة عامة من الملاحظة التي يلتقطها بعض الفنانين من أجل إيجاد أساليب أخرى للتمثيل. كما إن الاكتشافات الجديدة بشأن كروية الأرض قد أثارت الخيال"[3]، فخرجت اتجاهات جديدة، مثل التحليلية التكعيبية، وفنانين جدد، اختلفت أساليبهم، لكن، جمعتهم أفكار وعناصر هندسية.

أما في الفنون المعاصرة، وخاصة في "الفن البصري"، فقد أُستُخدم الشكل الدائري بشكل "متعمد لظواهر الوهم التي تتجلى أمام العين. وهنا، تنزع الدائرة "أن تكون ذات طبيعة هندسية بدلاً من أن تكون على سجيتها. كما أنها تنزع أن تكون أشكالاً تجريدية – من غير أن تشمل على ملامح تشخيصية"[4]. من هنا، كانت علاقة التصاميم الدائرية بتكوينات الفن البصري، فلها "وسائل قادرة بشكل خاص على طمر الأشكال المشخصة، وإن من العسير جداً فك مغاليقها. مثال لوحة للفنان فازاريلي، بعنوان

[1] - Ronald Alley, Catalogue of the Tate Gallery's Collection of Modern Art other than Works by British Artists, Tate Gallery and Sotheby Parke-Bernet, London 1981, p.745

[2] – بتصرف، الرموز الهندسية – نموذج الدائرة ومداها المفاهيمي في التجربة التشكيلية، https://pulpit.alwatanvoice

[3] – بتصرف، الرياضيات والفنون، https://www.hisour.com

[4] – بتصرف، نيكولاس ويد، الأوهام البصرية، تر، مي مظفر، دار المأمون، بغداد، 1988، ص 21–22.

(كيزدي جا Kezdi-Ga)، شاشة حريرية، 1970م، الشكل (11).

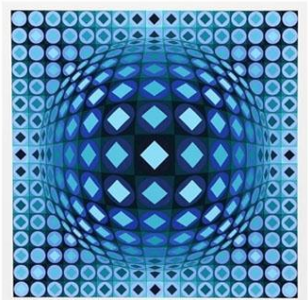

الشكل (11) فيكتور فازاريلي كيزدي جا شاشة حرارية 1970

الذي يتألف من وجوه جانبية، تتناوب في توجهها، وهي محجوبة بالتماثل الدائري للعناصر المتشابكة. إضافة إلى ذلك فإن التواصل بين هذه العناصر الدائرية يعمل بشكل معاكس لذلك الذي يظهر في الوجوه الجانبية"[1]. إن الأشكال الدائرية في الفن البصري، بقدر ما تثير الأحاسيس الجمالية، فهي في الوقت نفسه ثير الإيهام بالحركة، وتؤثر باستمرار على الأذهان.

"وقد اتسع نطاق هذه التجارب بحيث أدى تراكم البنى الهندسية، وتجاور الخطوط، وتوزيع الألوان المسطحة والمتفاوتة الأعماق إلى ظواهر متنوعة، كالالتماع أو التموج، وتوهج الألوان وانتشارها وتداخلها وتقلصها وامتدادها، ومع ما ينتج عن تقابلها من تباينات متزامنة ومتتالية.. ونتيجة للمزج البصري، واللبس الشامل، والتقلب الدائم للعناصر التشكيلية يؤدي إلى تهيجات الشبكة وتشنجاتها"[2]، مثال مجموعة نماذج لفازاريلي، خداع بصري بالأبيض والأسود، الشكل (12).

الشكل (12) فيكتور فازاريلي مجموعة نماذج لخداع بصري بالابيض والاسود

وفي تقصيه لهذه النتائج، واكتشاف امكانات الأشكال الهندسية، وخاصة الدائرة، وعلاقتها بالتكوينات البصرية في مجال الفن البصري، قدم الفنان فازاريلي "مفاهيم تأخذ بالاعتبار القيمة الوظيفية للفن والواقع الإنساني المعاصر داخل هذه الشبكة الحديثة لعالم اليوم. لذلك فهو ينظر إلى اللوحة من خلال موقعها وعلاقاتها الفنية والاجتماعية والاقتصادية، ويحدد مبدأ الوحدة الفنية على أساس أن الخلفية والشكلية يتآلفان من توترات متقابلة يكمل بعضها بعضاً"[3]. كما في الشكلين السابقين (6-11)، فلقد جعل من الشكل الدائري العنصر الأكثر أهمية في اللوحة، مضيفاً إلى تكوينها أشكالاً هندسية أخرى غنية في تنوعها وفي وظائفها. وبإدخاله اللون إلى كل وحدة بنيوية يتكون عدد لا يحصى من امكانات التمازج الناتجة عن تباين الألوان المتجاورة وتناغمها، وعلاقتها بالدوائر بحجومها المختلفة.

أما في الاتجاه المُسمّى بالفن الحسابي (Algorithmic): والمعرف أيضاً، بالفن الخوارزمي، وظهر في ثمانينيات القرن العشرين، ومشتق من فن الحاسوب، وينفذ بواسطته، فقد "تم توليد التصاميم الفنية من خلال العمليات الحسابية الخوارزمية. وهو جزء من الفن التوليدي – generative art"[4]. حيث استخدمت البرمجيات والتكنولوجيا، التي أصبحت وسيلة التعبير الفني

[1] – بتصرف، نيكولاس ويد، الأوهام البصرية، مرجع سابق، ص 31.

[2] – بتصرف، محمود أمهز، التيارات الفنية المعاصرة، ط1، شركة المطبوعات، بيروت – لبنان، 1996. ص 358.

[3] – المرجع نفسه،، ص 360.

[4] – بلاسم محمد، وسلام جبار، الفن المعاصر – أساليبه واتجاهاته، ط1، مكتب الفتح، بغداد، 2015، ص 149.

الجديد. وعليه فإن الأشكال والعناصر التشكيلية خضعت لبرمجيات مجهزة ومحددة. وتتبين أهمية هذه الوسيلة في أنها جعلت وكأن الأشكال الدائرية، وغيرها من الأشكال الهندسية الأخرى تتحرك وتدور وتصعد إلى الأعلى أو تنزل نحو الأسفل. ففي الشكل (13).

يظهر أن الشكل الدائري قد صُمم من خلال العمليات الحاسوبية لتؤسس أشكالاً دائرة وحلزونية من الشكل الدائري نفسه.

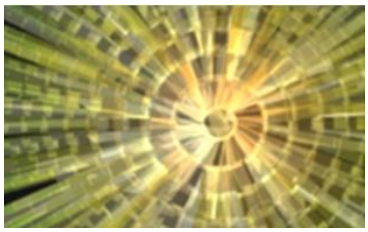

الشكل (12) مثال من كتاب الفن المعاصر

شكل دائري من تصميم الحاسوب

وهكذا، فإن أي شكل يحمل سمات الشكل الدائري لم يعد يرتبط أو يتمثل بأي أثر زخرفي أو تزييني أو شكل فني تقليدي، بل بات مجالاً حيوياً ذا أبعاد فكرية وفنية وجمالية جديدة، وشغلت أشكاله، وحجومه، وخصائصه، حيزاً كبيراً في دائرة الفن المعاصر بأساليبه التقليدية والمستحدثة من التقنيات التكنولوجيا والرقمية.

الخاتمة والنتائج:

جاء في البحث أهم المسائل المتعلقة بالشكل الدائري، وعلاقته بالتكوينات الفنية المعاصرة. وقد تبينت بالدراسة أهمية الشكل الدائري، أبعاده المتعددة في سياق تطور الفن عامة، والمعاصر خاصة. وقد أظهرت الدراسة أن العلاقة القائمة بين الشكل الدائري وبين عناصر التكوين أن كلا الطرفين قد أثَّرا في بعضهما البعض، وأحدثا تحولاً. وعليه، كانت النتائج التالية:

1- الدور الهام والحيوي للشكل الدائري في الحضارات القديمة، وفي الفنون المعاصرة، لما لها من أبعاد فكرية، وفنية، وجمالية، وما تحمله من رمزيات، تكشف بمجملها عن دوره الحيوي في الفن والحياة.

2- أي شكل يحمل سمات الشكل الدائري هو الشكل الأكثر عضوية بين الأشكال الهندسية الأخرى، لغياب الزوايا عنه.

3- تجلت القيم الفكرية والفنية والجمالية للشكل الدائري في علاقتها بعناصر التكوين، وأنتجت هذه العلاقة مجموعة من القيم والمفاهيم الجديدة المتعلقة بالأشكال، وبالتالي، بالتكوينات البصرية الجديدة.

4- أوجد الفنان علاقات مركبة جديدة واستخدم الأشكال الدائرية المتحركة لتكوين أشكال غريبة، وإيجاد نوع من التأليف المتجدد.

5- أدت التكنولوجيا الرقمية إلى خلق علاقة جديدة بين الشكل الدائري وعناصر التكوين، وبالتالي، ظهرت تأثيرات إبداعية جديدة.

6- كل عنصر في الفراغ الفضائي يوجد له قيمة ودور ضمن هذا الفراغ، إن تم استثماره بشكله الصحيح وبجميع أبعاده، وبما أن الدائرة ليست سوى خطوط منحنية دون رؤوس وزوايا فهي مرنة وقابلة للتعددية في الاتجاهات الفنية والأساليب.

المراجع References

1- أحمد مختار عمر، اللغة واللون، دار البحوث العلمية، الكويت، 1982.

2- الرباعي، د. إحسان عرسان، الرشدان، د. وائل منير، إشكالية التواصل مع التراث في الأعمال الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، 2003م.

3- برنارد مايرز، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها، تر، سعد المنصوري، مر، سعيد محمد خطاب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بلا تاريخ.

4- بلاسم محمد، وسلام جبار، الفن المعاصر – أساليبه واتجاهاته، ط1، مكتب الفتح، بغداد، 2015، ص 149.

5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

6- زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ.

7- عبد الحميد، شاكر، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.

8- عبد الله عمران، د فاطمة، الإيهام البصري وتمثيلاته في رسوم فازاريلي، وازرة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بابل، 2016م.

9- فيليب سيرنج، الرموز في الفن – الأديان – الحياة، ترجمة، عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، دمشق، 1992.

10- كلود عبيد، الألوان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013.

11- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.

12- مجموعة من المؤلفين، معجم النفائس الكبير، دار النفائس.

13- محمود أمهز، التيارات، التيارات الفنية المعاصرة، ط1، شركة المطبوعات، بيروت – لبنان، 1996.

14- مروة عزت عبد الحميد، جماليات فن التكوين في التصوير، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008.

15- نيكولاس ويد، الأوهام البصرية، تر، مي مظفر، دار المأمون، بغداد، 1988.

16- رياض هلال، وحامد خضير، الأبعاد الجمالية للشكل الهندسي في الفن البصري، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج4، ع1، 2014.

17- František Kupka, The Solomon R. Guggenheim Foundation, New York, 1975, p17.

18- Ronald Alley, Catalogue of the Tate Gallery's Collection of Modern Art other than Works by British Artists, Tate Gallery and Sotheby Parke-Bernet, London 1981p.745,

19- خصائص الدائرة، المصدر، https://sotor.com

20- الرياضيات والفنون، https://www.hisour.com

21- الدائرة، المصدر، https://www.edarabia.com

22- الرموز الهندسية – نموذج الدائرة ومداها المفاهيمي في التجربة التشكيلية، https://pulpit.alwatanvoice

23- معجم المعاني، المصدر، https://www.almaany.com

24- فريق القافلة، الدائرة، في الفن التشكيلي.. الدائرة والكرة في قلب التجريد، مجلة القافلة، 2018م. https://qafilah.com/ar

إيداع البحث	2021/4/27	Received
قبول البحث للنشر	2021/8/11	Accepted for Publ.